الخصائص الاجتماعيّة المؤثرة في الالتزام الطلابي بتونس خلال العشريّة الأخيرة لحكم بن علي(*)

مطاع أمين الواعر(**)

جامعة مونتريال.

ملخّص

يحاول المقال، بالاعتماد على بحث ميداني كيفيّ، تسليط الضوء على مسارات الالتزام لدى المنتمين إلى الحركة الطلّابيّة التونسي خلال العشريّة بوصفهم أحد الفاعلين في الحراك الثوري التونسي الذين بقوا نسبيًّا خارج دائرة الاهتمام الأكاديمي. وقد سعيت خلاله إلى معرفة الشروط التي جعلت انخراطهم في الالتزام الطلابي ممكنًا وكيف أثّر تعدد مساراتهم الشخصيّة على الشكل الذي اتخذه التزامهم السياسي في الجامعة خلال سنوات الألفين.

وينقسم النص إلى ثلاثة عناوين بشكل يأخذ بعين الاعتبار تتابع المحطّات المهمة في الالتزام الطلابي، كرّست **أولها** للخصائص الاجتماعية الأساسيّة التي يشترك فيها «مناضلو ومناضلات» الاتحاد، و**ثانيها** للعوامل المساعدة على تفعيل هاته الخاصيّات وتحويلها إلى التزام سياسي ونقابي. أما العنوان الأخير من النص فأفردته لرصد تأثير الخصائص الاجتماعية ومسارات تفعيلها على الأشكال التي اتخذها التزام هذا الشباب الطلابي صلب الاتحاد والتنظيمات السياسية التي تنشط داخله.

الكلمات المفتاحيّة: ثوري – طلاب – مسارات الالتزام – تونس.

(*) يعتمد هذا المقال كلّيًا على بحث جامعي أعددته سنة 2017: Moutaa Amine El Waer, «Production et reproduction d'un militantisme de gauche au sein d'un syndicat étudiant dans la dernière décennie de regne de Ben Ali,» (Université Paris-Dauphine, 2017) 244 p.

وهي مذكرة ماجستير علم اجتماع سياسي قدّمتها في جامعة باريس دوفين، تحت إشراف الأستاذ شكري حمد وأمام لجنة تقييم مكونة من الأساتذة: Choukri Hmed, Joceline Dakhelia, Éric Agrikoliansky

(**) البريد الإلكتروني: moutaa.amine.el.waer@umontreal.ca.

Abstract

This article sets out to analyze the trajectories of student activists in Tunisia during the last decade of Ben Ali in power. Remained on the fringes of scientific research, this paper postulates that paying attention to them is able to provide us with a surplus of intelligibility on the revolutionary situations that Tunisia has experienced since 2010. Thus, I propose through a survey qualitative field, to examine the conditions that made such an engagement possible and to understand the way in which the diversity of the trajectories prior to the student engagement shaped it. In the light of this development, the text will be divided into three sections which take up the succession of the main phases of student engagement. The first was devoted to the main social characteristics of the militants studied, while the second studied the conditions for activating the engagement. Finally, the third analyzes the consequences of these first two elements on the form taken by the activism of the participants in the survey within student unionism and the political groups active in it.

Key words: revolutionary - student - militant trajectory - Tunisia

تقديم

عاشت تونس انطلاقًا من 17 كانون الأول/ديسمبر 2010 حراكًا ثوريًّا انطلق بسيدي بوزيد[1] وانتشر في أقل من أسبوعين ليعمّ جلّ مناطق الجمهوريّة، إضافة إلى المدن الكبرى في دول الشمال، حيثما وجد تمركز للتونسيّين. ولم تخفّ وتيرة الحراك مؤقتًا إلا بهروب زين العابدين بن علي يوم 14 من كانون الثاني/يناير 2011 تجاه السعوديّة بعد 23 سنة من الحكم التسلّطي (Salmon, 2016).

وبمراجعة تناول المؤلّفات العلميّة لأسباب هذا الحراك الثوري الذي زعزع الحقل السياسي وأثّر عظيم الأثر في معظم الفضاءات الاجتماعيّة في تونس، نجد أن عددًا من الباحثين شددوا على ما يدين به لما تمّت مراكمته من احتجاجات قبل 17 كانون الأول/ديسمبر 2010 (Hmed et Jeanpierre, 2016; Salmon, 2016). تتجاوز المراكمة هنا الخبرة الميدانيّة والمعرفيّة التي تكوّنت لدى الفاعلين لتشمل أيضًا الشبكات التنظيميّة المعلنة منها (منظمات وأحزاب قانونيّة وغير معترف بها) وغير المعلنة (في الأحياء الشعبيّة، شباب الأولتراس، نشطاء على الشبكات الاجتماعيّة...) والتي تمّ استثمارها أو تفعيلها في حراك كانون الأول/ديسمبر 2010. ورصدت بحوث هذه المراكمة عبر الرافد النقابي (Feltrin, 2019; Yousfi, 2015) والاحتجاجات الشعبية ذات البعد الاجتماعي كتلك التي جدّت بالحوض المنجمي بقفصة سنة 2008 (Allal, 2012) والتحرّكات القطاعيّة مثل التي خاضها المحامون (Gobe, 2016) والشبكات المواطنية المحلّية في سيدي بوزيد مثلًا (Hmed, 2012; Salmon, 2016) والعاطلين

(1) مدينة صغيرة تقع على بعد 250 كلم من العاصمة تونس في وسط غرب البلاد.

من العمل (Belhadj et Facci, 2015; Léger, 2013) والحركة النسويّة (Kréfa, 2016; Mahfoudh et Mahfoudh, 2014) واليساريين والإسلاميين الذين ناضلوا ضد حكم بورقيبة (Ayari, 2017) وشباب أحزاب أقصى اليسار (Hmed, 2018). وقد سخَّرتُ جزءًا من بحث جامعي[2] أنجزته لرصد الدور الذي أدّاه الالتزام الطلابي في هذه المراكمة.

وتشمل الحركة الطلّابيّة التونسيّة اليوم عدّة تنظيمات نقابيّة وجمعيّات قطاعيّة وتيّارات سياسيّة متنوعة يصعب وصفها بدقّة في هذه الورقة، لذلك سأكتفي بتقديم عام ومقتضب جدًّا لها. نشأت هاته الحركة في تونس بداية القرن العشرين (Ayachi, 1990; Dhifallah, 1999) وكانت تفصلها مسافة نسبيّة عن التنظيمات السياسيّة القائمة رغم أنها شاركت بفاعليّة في المواجهة بين القوى الوطنيّة والمستعمر الفرنسي (Dhifallah, 2003). إضافة إلى ذلك، لم تفلح محاولات نظام الحكم تدجين الحركة الطلّابيّة إلّا خلال السنوات التالية للاستقلال (1956)، فقد أحرزت منذ بداية السبعينات قدرا من الاستقلاليّة عنه (Bouguerra, 2012). أفلحت الحركة في المحافظة على هذا الحد من الاستقلاليّة إلى غاية اندلاع الحراك الثوري في تونس في كانون الأول/ديسمبر 2010، رغم فترات الجزر الشديد التي مرّت بها، وهو ما حمّل أعدادًا كبيرة من عناصر تكاليف باهظة (El Waer, 2017).

لن يتناول هذا النص الحركة الطلّابيّة بمجملها، بل سيكتفي بأحد تنظيماتها وهو الاتحاد العام لطلبة تونس. وهي منظمة نقابيّة طلّابية أسست سنة 1952، سيطر الحزب الحاكم على قيادتها (Ben Chaabane, 2019; Ayachi, 2003) إلى حدود سنة 1971 حين صارت الغلبة للتنظيمات اليساريّة (Bouguerra, 2012). ولهذا الاختيار سببان رئيسيّان: **أولهما**، أن اتحاد الطلبة هو أقدم نقابة طلّابيّة موجودة اليوم في تونس ويمثّل المنظمة التاريخيّة للحركة الطلّابيّة؛ **ثانيهما**، أنها كانت المنظمة الطلابيّة الوحيدة المستقلة نسبيًا عن النظام خلال العشريّة السابقة للحراك الثوري وهي الفترة التي تعنيني في هذا البحث.

احتكرت التنظيمات اليسارية الاتحاد خلال سنوات الألفين وطبعت بطابعها أسلوب عمله ومواقفه فأصبح تصنيفه كمنظمة يساريّة وتكثيفه سياسيًا في ما يعرف باليسار الطلابي أمرا منطقيًّا ومشروعًا. وتطلق تسمية اليسار الطلّابي على مجموعة هلاميّة تجمع بالأساس التنظيمات الشبابيّة اليساريّة المرتبطة أو غير المرتبطة بأحزاب سياسيّة لكنّها أيضًا تشير إلى أعداد كبيرة من «المناضلين»[3] غير المنتمين لأي تنظيم. وينتمي

(2) بحث جامعي سبق ذكره. يمكن الإطلاع أيضًا على مقال منشور، بالعدد الخاص عن اليسار العربي بجريدة **الأخبار** اللبنانيّة: مطاع أمين الواعر، «اليسار الطلابي في خضم الحراك الثوري بتونس»، 24/12/2018، <https://cutt.ly/xdmQBGm>.

(3) يقصد بالمناضل هنا من يمارس صلب منظّمة ما «شكلًا من الانخراط النشيط، غير مدفوع الأجر، وغير الموجّه نحو تحقيق منافع مادّيّة والذي يتمّ عادة تقديمه بصورة مثالية على اعتبار أن قوّته تشهد على أهمّيّته والقيمة المسندة لأنشطة المنظّمة» (Lagroye, François, et Sawicki, 2002: 244). ولا يدخل نوع النشاط بالنسبة =

هذا الجمع في العموم لليسار بمختلف تفرعاته الماركسية وغير الماركسيّة والقوميين بشقيّهم الناصري والبعثي.

وعلى اعتبار أن الجامعة ظلّت إلى غاية كانون الأول/ديسمبر 2010 أحد أهم فضاءات إنتاج النقد الاجتماعي، وأن المناضلين الطلّابيين قد أدّوا دورًا في الحراك الثوري الذي عرفته تونس سنة 2011ـ2010 (El Waer, 2017)، يصبح من المهم التعرف عن كثب عليهم، وخصوصًا عمّا ساهم في دفعهم للالتزام السياسي الطلابي؟ وكيف أثّر تعدد مساراتهم الشخصيّة على الشكل الذي اتخذه هذا الالتزام في الجامعة خلال سنوات الألفين؟

وتنقسم هذه المقالة إلى ثلاثة عناوين كرّست **أولها** للخصائص الاجتماعية الأساسيّة التي يشترك فيها «مناضلو ومناضلات» الاتحاد و**ثانيها** للعوامل المساعدة على تفعيل هذه الخاصيّات وتحويلها إلى التزام سياسي ونقابي. أما العنوان **الثالث** من النص فأفردته لرصد تأثير الخصائص الاجتماعية ومسارات تفعيلها على الأشكال التي اتخذها التزام هذا الشباب الطلابي صلب الاتحاد والتنظيمات السياسية التي تنشط داخله. لكن، وقبل المرور إلى جوهر النص، أعتقد أنه من المجدي تخصيص بعض المساحة لتقديم المميزات المنهجية للبحث الذي سيحاول هذا المقال تقديم جزء من نتائجه.

أولًا: منهجيّة كيفية مختلطة

اعتمدت في بحثي على «الابتعاد» (Distanciation) كتمشٍّ منهجي يرمي إلى جعل المعتاد أقل ألفة عبر البحث عن «المسافة المثالية» حتى يمكن تحليله علميًّا (Bensa, 1995). إذ إني وباختياري لليسار الطلابي التونسي موضوعًا، فقد قبلت أن تكون العلاقات الاجتماعيّة للمقربين منّي مجال البحث الذي استهدفه. حيث نشطت صلب الاتحاد منذ سنة 2003 إلى غاية سنة 2009 وكنت مسؤولًا بصورة مباشرة أو غير مباشرة عن اتخاذ قرارات وعن ممارسات قد تكون اليوم عرضة للتقييم. كما أن

= إلي في تحديد قيمة معياريّة للنضال إذ قد يكون النضال في منظمة عمّاليّة أو تنظيم جهادي أو منظمة أرباب عمل أو منظمة تدافع عن علويّة العرق الأبيض أو تنظيم مسلّح لا سلطوي. وقد كان بالإمكان اختيار مصطلح «فاعلين» لوسم المجموعة التي أنا بصدد الحديث عنها، غير أن «مناضلين» هو النعت الذي يعتمده المبحوثون أولًا، وهو أيضًا (وهذا العامل هو الأهم) مصطلح يميّز بينهم وبين المنخرطين وهم المتعاطفون مع الاتحاد العام لطلبة تونس (اصطلح على تسميتهم بين المناضلين بـ «المنخرطين العاديّين»). ولهذا التمييز أهمّية سياسيّة وتنظيميّة. فالمناضلون هم المنخرطون المؤثرون داخل المنظمة والذين يتحملون المسؤولية داخل هياكلها، رغم أن هذا التمييز لا يرتكز على أي من وثائقها المركزية (قانون أساسي، نظام داخلي، ميثاق طلابي) وهم أيضًا الذين يدفعون عمومًا ثمن هذا الالتزام. لهذا فإن الوصف الذي يقدمه النصّ للمناضلين الطلابيّين لا ينسحب بشكل آلي على بقية منخرطي ومنخرطات الاتحاد العام لطلبة تونس.

المبحوثين الذين سأحاول فهم الشروط الاجتماعية لالتزامهم هم فاعلون جمعني بهم سجال وصراعات نقابية وسياسيّة ومحطّات مهمة في تجربتي الشخصية، ساهمت في تكوين بعض من وعيي السياسي والتنظيمي والنظري. ويحتّم الاشتغال على ميدان بهذا القرب من الباحث التوقف عند خصائص هذه العلاقة وتبعاتها البحثيّة بدءًا ببناء الموضوع وإلى غاية آخر مراحل صياغة النتائج.

ولا يعتمد التصميم المنهجي لهذا البحث على فكرة أفضلية إيبيستيمولوجية مطلقة لأي علاقة استقصائية كانت (Harding, 1992). إذ إن علاقة «الانغماس» لمن هم خارج الظاهرة المدروسة تتيح رؤية أشياء وتحجب أخرى تبعًا للإطار السياسي والاجتماعي للبحث، كما هو الحال في علاقة «الابتعاد» لمن هم داخلها. وبالعودة إلى التحقيق الميداني الذي نحن بصدده، فإن موقعي كأحد من عاشوا هذه التجربة جعلني أتفطن لوجودها الإمبيريقي وهي التي غابت نسبيًّا عن البحوث العلميّة ومثّل بالتالي شرطًا رئيسيًا لجعل هذا البحث ممكنًا. إضافة إلى هذا، فقد ساعدتني علاقاتي بـ«مناضلات ومناضلين» عايشوني نفس الفترة التاريخية على جعل إنجاز المقابلات البحثيّة يسيرًا. كما أن المعرفة الشخصية (بدرجات متفاوتة طبعًا) ساهمت في جعل اختيار المستجوبين أمرًا مفكّرًا فيه بشكل مسبق، إذ تمكنت قبل الانطلاق في البحث من تحديد خصائص (الجنس، الطبقة، محيط النشأة، المجموعة السياسية، مكان الدراسة...) افترضت أنها مهمة في تحديد مسار الالتزام الطلّابي.

كان لهذه العلاقة المميزة مع موضوع البحث تكاليف معرفية سعيت لتقليصها قدر الإمكان. وأهم تأثير محتمل لهذه العلاقة الميدانية الخاصة يمسّ ثقل الفرضيات التي بدأت بها البحث. حيث إن معرفتي النسبية بميدان الاستقصاء أطرت نسبيًّا كل مراحل البحث وقد حاولت عبر مجهود تفكُّري (Bourdieu et Wacquant, 2014) مستمر التقليص من وطأتها حتى لا يستحيل البحث الميداني أداة تأكيد للتصورات السابقة له. كانت مواجهة المبحوثين والمبحوثات بالفرضيات مفيدة في تفكيك التماسك والترابط الخفي لقسم منها والذي كان يرتبط بنظرتي العامة لتجربتي داخل الاتحاد ولواقع الالتزام الطلابي خلال سنوات الألفين وما لحقهما. ومن المعلوم أن الأفراد يعيدون تركيب تجاربهم الخاصة لتشكيل رواية متناسقة تختلف باختلاف الإطار الذي يفرض عليهم سردها (Grard, 2008). وقد ساعدني تفكيك سرديّتي الخاصة على التخلي عن شطر منها وتحويل البقيّة إلى فرضيات وأسئلة كافحتها بانتظام مع تجارب المبحوثين خلال المقابلات.

بناءً على ما سبق فقد آثرت في هذا البحث التعويل على المنهج الاستقرائي وعلى منهجيّة بحث ميداني كمّية مختلطة، أدمج فيها نوعين من التقنيات. التقنية **الأولى** هي الإثنوغرافيا الذاتيّة (Auto Ethnographie) (Denshire, 2014; Ellis, Adams, et Bochner, 2011) والتي تحوّل التجربة الشخصيّة للباحث إلى مصدر للبيانات الميدانيّة كما تكون فيها تجاربه المرتبطة بموضوع البحث قرائن (Scott, 1991) تتكامل مع بقيّة البيانات. أتاحت لي الإثنوغرافيا الذاتية على سبيل المثال الإطلاع على التقنيات المستترة لجذب حديثي العهد بالجامعة للالتزام الطلابي والتي لا يصرّح بها عادة (كالاشتغال على الصداقات والعلاقات العائليّة والجغرافيّة والعاطفيّة مثلًا). كما مكنتني من الوعي ببعض الجوانب الذاتية والعاطفيّة

المؤثرة في تجربتنا الجماعية التي قد لا تكفي المقابلات البحثيّة للكشف عنها (كأثر العزلة التي يعيشها الطلبة الجدد أو أثر علاقات الهيمنة داخل هياكل الاتحاد أو التنظيمات السياسية على سيرورة تجربة الالتزام). التقنية **الثانية** التي استند إليها تحقيقي الميداني هي المقابلات نصف المسيّرة وعددها 52 مقابلة بحثية معمّقة. راوحت المقابلات بين التركيز على المحطات الشخصيّة (بيوغرافيّة) (Demazière, 2011) وبين تفاصيل الحياة اليوميّة للالتزام الطلابي (إثنوغرافيا) (Beaud, 1996) ولها متوسط مدّة بلغ ساعتين واثني عشرة دقيقة. وفّرت لي المقابلات مصدرًا ثمينًا للمعلومات حول تنوّع التجربة الطلابيّة كما عاشها أصحابها والتمثّلات التي تركتها لديهم لحظة إجراء المقابلات عنها. إضافة إلى ذلك، اعتمدتُ القاعدة البيانيّة للمعطيات السوسيولوجيّة للمبحوثين والمبحوثات الـ52 لتكوين تصوّر عام أولي عن الخصائص الاجتماعيّة لـ«مناضلي ومناضلات» الاتحاد. ورغم أن العينة لا تدعي التمثيليّة الإحصائيّة فإنها تعطينا نبذة ابتدائيّة يصلح نفيها أو تأكيدها ليكون موضوعًا لبحث مستقبلي. واعتمدت في إعداد محتوى المقابلات البحثيّة، إضافة إلى المطالعات المتنوعة على الإثنوغرافيا الذاتية المستقاة من تجربتي وذكرياتي الميدانيّة لصياغة الفرضيات حول أهميّة عنصر ما في سيرورة الالتزام الطلابي أو أثر عامل ما في تحديد معالمه. ترتب على هذا التمشّي أن جزءًا من المقابلات أخذ أحيانًا طابع النقاش مع المبحوثين كلّما تناولت المحادثة مجريات حدث معلوم أو تأويل معانيه أو تأثير بعض العوامل على مساراتهم الشخصيّة، وهو ما أعطى للاستخلاصات النهائية قابليّة أكبر للتعميم (بحذر).

ثانيًا: شروط الالتزام الطلابي اليساري في أواخر حكم بن علي

يرصد هذا القسم نوعين من الشروط التي أعتبر أن توافرها حيوي كي يكون الالتزام الطلابي اليساري ممكنًا. وتحاول الفقرة **الأولى** تبيان أهمية وجود الاتحاد كفضاء ساهمت بنيته وتاريخه وإرثه السياسي والتنظيمي في جعل الالتزام اليساري بشكله الذي عرفته الجامعة خلال العقد الأخير من حكم بن علي ممكنًا، لكنه قيّد في المقابل نوعية الطلبة الذين يحتمل أن ينخرطوا فيه. أما الفقرة **الثانية** فقد خصصتها للتعرف إلى الخصائص الاجتماعيّة للمبحوثين.

1 ـ الاتحاد العام لطلبة تونس كـ«فضاء تعويض سياسي»

من المهم قبل عرض الخصائص الاجتماعيّة لـ«مناضلات ومناضلي» الاتحاد أن نعود إلى أهميّة وجود المنظمة نفسها كشرط أساسي لانخراط بضع آلاف من الشباب التونسي[4] فيه خلال عشرية الألفيّات. لا يعني هذا أن غيابها بالشكل الذي وجدها عليه الطلبة الملتحقون

(4) يصعب تقييم عدد المنخرطين بشكل دقيق لكنه يتراوح، اعتمادًا على تجربتي في المنظمة، بين 5000 آلاف و12.000 ألف منخرط ومنخرطة. ويمكن تقدير عدد المنخرطين الفاعلين من بين مجمل الحاملين لبطاقة انخراط بما يتراوح بين 2000 و3000 عضو.

بالجامعة خلال هذه العشريّة كان لينفي إمكانية الالتزام الطلابي. لكن ما يعنينا هنا أن الاتحاد فرض على من التحقوا به إطارًا حدد كيفيّة تدخلهم في الفضاء الجامعي. كما أن الاتحاد كمنظمة لها تقاليدها السياسيّة والتنظيمية والحركيّة لم تكن أبدًا إطارًا شفافًا منفتحًا على أي شخص لينخرط فيه ويمكن للمتمعن في تركيبة العناصر الفاعلة أن يلحظ لديهم تواتر مواصفات اجتماعية معينة وندرة أخرى. فما مميزات هذه المنظمة التي طبعت بطابعها منخرطيها وكل الالتزام الطلابي بوجه عام؟

عرفت المنظمة خلال التسعينيات وضعًا تنظيميًا وسياسيًا صعبًا نتيجة للانغلاق الشامل لفضاءات النشاط السياسيّة بعد عام 1991 (Timoumi, 2013). وقد كان من الصعب خلال هذه الفترة فتح أي فضاء عمل ثقافي أو اجتماعي داخل الجامعة بعيدًا من سيطرة الحزب الحاكم ومنظمته الطلّابيّة التي تم تأسيسها سنة 1988 لتنافس الاتحادين سابقي الذكر. غير أن «مناضلات ومناضلي» الاتحاد وجدوا في خضم هذا الانسداد تغاضي من أجهزة النظام لعملهم في المجال الثقافي، بشرط عدم الخوض في القضايا السياسيّة والنقابيّة. وحسب أحد القياديين حينها:

«... كان الوضع صعبًا جدًّا في الجامعة وكان الطلبة مرعبين من مناخ الذعر المهين... لم يكن الطلبة يتقبلون أي حديث مباشر يتوجّه للنظام أو لمؤسسات الدولة. كما أنّ أي نشاط نقابي نبادر به كان يواجه بقمع شديد من طرف السلطة. اضطررنا خلال هذه الفترة إلى التركيز على العمل في المبيتات الجامعيّة والنوادي الثقافيّة وهو ما كانت السلطة تقبله عن مضض. كان بعض الرفاق يتندّرون خلال هذه الفترة بأننا تحوّلنا لنادي ترفيهي...»[5]

غير أنّه من المهم فهم هذا النشاط كامتداد وتعويض للنشاط النقابي الذي انحسر مجاله بحدّة. وتكمن أهمّية هذا التأكيد في أن تواصل هذا الفضاء كان هو الشرط الأساسي لوجود شبكات «المناضلين» التي أدّت دورًا خلال اندلاع هذا الحراك الثوري ذات 17 كانون الأول/ديسمبر 2010[6]. فقد وجد الملتحقون بالجامعة في سنوات الألفين منظمة تمركز النشاط النقابي والسياسي الطلابي المستقل داخل الجامعة. صحيح أن الاتحاد كان خلال هذه الفترة يعاني (كمعظم فترات تاريخه) انقسامات تذكيها فصائل سياسيّة تدّعي تارة شرعيّة «نضالية» ميدانيّة وطورًا شرعية قانونية للهيمنة على هياكله. كما أن الاتحاد كان يعاني عمومًا قمعًا (لا يستهدف جميع مكوناته بنفس الحدّة)، يستهدف **أولًا** عناصره (اعتداءات مادية ومعنوية، إيقافات، طرد من الدراسة، سجن) و**ثانيًا** هياكله (حرمان من التمويل، تواتر نهب وتخريب بضع مقرات يملكها، عدم الاعتراف بمسؤولي الاتحاد كممثلين

(5) حوار مع عبد الكريم، موظف في وزارة التربية وقيادي وطني بالاتحاد بين 1994 و2006، تونس في آذار/مارس 2017.

(6) مقال مذكور، في **السفير**.

نقابيين عن الطلبة...). بيد أن هذا الوضع لم يمنعه من مواصلة أداء دوره في احتضان جيل كامل من الشباب الطلابي (El Waer, 2017).

ومن خصائص هذا الدور أن الاتحاد وفّر أولًا حيّز نشاط قانوني (رغم أنه محاصر) للمجموعات اليساريّة المحظورة وللراغبين بالانتساب كأفراد للنشاط النقابي والسياسي الطلابي. ومن المعلوم أن الغطاء القانوني مورد غير هيّن بيد القوى الاجتماعيّة المحتجّة في ضل نظام تسلّطي كنظام بن علي (Khiari, 2003)، يتيح كتمان البعد السياسي الصرف للأنشطة العلنيّة تحت مسوّغات العمل النقابي والاجتماعي والثقافي. علاوة على ذلك فقد وفّر الاتحاد حيزًا يمكن فيه إنتاج النقد الاجتماعي في ضل إطار عام معاد لكل خطاب لا يتناغم مع الدعاية الرسميّة للنظام (Hibou, 2006). أضف إلى ما سبق أن الاتحاد أتاح لمنتسبيه فرصة تعلّم مهارات نفيسة كالخطابة والجدال السياسي والفكري وتنظيم الاحتجاجات وكتابة البيانات والتفاوض[7]، كان من العسير حينها تعلّمها خارجه. كذلك يصعب إيجاد أي قيادي في حزب يساري أو قومي تونسي لم يمرّ تكوينه السياسي من بوابة الالتزام الطلّابي. بل إن عناصر تلقّت تكوينها السياسي عبر الالتزام الطلّابي اليساري تم استيعابها في منظومة الحكم (Cooptation) أثناء نظام الحكم التسلطي وبعده.

ويتماشى هذا الدور الذي أداه الاتحاد العام لطلبة تونس مع ما أطلق عليه من «مدرسة الإطارات» (Ayachi, 2003) و«فضاء تعويض سياسي» (Camau et Geisser, 2003). ومعنى المصطلح **الأول** أن الاتحاد أدّى إلى نهاية الستينيات دور أكاديميّة تعدّ الإطارات السياسية للحزب الحاكم، بما أن الجامعة كانت المكان الوحيد في البلاد الذي يحظى بقدر نسبي من الاستقلاليّة التي تجعله مواتيًا لتعلّم المهارات والخبرات السياسيّة. أما المصطلح **الثاني** فإنه يضيف له الحرّية النسبيّة التي تركت للجامعة مجالًا للتعبير عن الصراعات الاجتماعيّة والسياسيّة التي تشق البلاد والتنفيس عنها، مما أهّلها لتعوّض غياب النشاط السياسي خارج أجهزة الحزب-الدولة. غير أن هذا التنفيس كان بشرط الحفاظ على الاستقرار المؤسساتي عبر علاقة الزبونية الوثيقة التي ربطت الاتحاد بالحزب الحاكم. ومن الجدير بالذكر في هذا المجال أن عددًا من الكوادر السياسية العليا لدولة الاستقلال قد تلقوا تكوينهم داخل المنظمة (Mounir Charfi, 2000). إلا أن الكتاب الثلاثة يعتبرون أن الاتحاد قد توقف نسبيًا عن تأدية هذه المهمة مع بداية السبعينيات عند انفراط علاقة الوئام بين السلطة والاتحاد بعد سيطرة اليساريين عليه نهاية سنة 1971 وشنّت الأولى حربًا ضروسًا ضدهم انتهت بسجن مئات منهم ودخول المنظمة في العمل السّري. ويرى كامو وجيسير أن ذلك اشتد خصوصًا بعد تدجين الجامعة من قبل النظام غداة موجة القمع الكبرى التي عاشتها بداية التسعينيات. وقد حاولت في منشورات سابقة تبيان خطأ هذا الجزم (El Waer, 2019)، حيث

(7) حوار مع منعم، أستاذ وأحد القيادات الطلابيّة التي سجنت في بداية الحراك الثوري في 2010، تونس في كانون الأول/ديسمبر 2015.

إن الاتحاد واصل أداء دور «فضاء التعويض السياسي»، رغم انغلاق بقية الفضاء الجامعي، إلى مطلع الحراك الثوري في كانون الأول/ديسمبر2010 (El Waer, 2017).

وللعودة باقتضاب لما حصل خلال تلك الفترة فقد عرفت تونس بعد انقلاب 1987 بقيادة الجنرال بن علي انفراجًا سياسيًا نسبيًا دام ثلاث سنوات عاد خلالها النشاط السياسي للانتعاش وعاد فيها الالتزام الطلابي لاضطرام داخل أسوار الجامعة. وقد مثّلت هذه الفترة فسحة نشاط علني وجماهيري لليسار والإسلاميين بعد اعتراف النظام رسميًّا بمنظمتيهما سنة 1988، الاتحاد العام لطلبة تونس الذي منع من النشاط العلني لقرابة الـ17 سنة والذي يهيمن اليسار عليه والاتحاد العام التونسي للطلبة الذي أسسه طلبة الاتجاه الإسلامي سنة 1985 كتنظيم نقابي ثاني (Labiadh, 2014). ورغم أن هيمنة الإسلاميين على الجامعة كانت جليّة فإن ذلك لا ينفي تواصل الوجود اليساري المؤثّر بها (Waer, 2017). منذ بداية سنة 1991 دخل النظام في مواجهة مفتوحة مع الإسلاميين لاجتثاثهم والقضاء على تهديدهم لسلطته. شملت هذه المواجهة كل الفضاءات الاجتماعية وكانت الجامعة أبرزها. انتهت المواجهة بقمع الإسلاميين بشكل عنيف بالإضافة إلى قرار حل الاتحاد العام التونسي للطلبة في 8 تموز/يوليو 1991 (Thabti, 2011). لم يكن الاتحاد العام لطلبة تونس في مأمن من هذا المنعرج القمعي إذ إن إمكان حلّه طرحت بجدّية (Mohamed Charfi, 2009)، ولم ينقذه تجنّبه لهذه الفرضيّة من العيش عقدين من الزمان تحت الحصار الأمني والإداري المشددين الذين لم ينقضيا إلا يوم 14 كانون الثاني/يناير 2011. ما تغيّر انطلاقا من سنة 1991 بالنسبة إلى الاتحاد العام لطلبة تونس بسبب تقلّص مجال الفعل النقابي والسياسي المتاح له هو أنه تحوّل تدريجيًّا إلى «خليّة استنهاض» (Taylor, 1989) تشتغل عبر آلياتها الداخلية بصورة دفاعية لإدامة وجودها المادي والتنظيمي إلى حين توافر ظرفيّة سياسيّة أكثر ملاءمة، وهو ما حصل انطلاقًا من بداية سنوات الألفين (كما سيتم تبيينه في العنوان التالي).

كان للانتماء إلى الاتحاد عدة «عواقب» (Broqua et Fillieule, 2005; McAdam, 2012)، من بينها خطر التعرض للقمع بأشكاله المتعددة، بالمعنى الذي عبر عنه دوغ ماك أدام حين تحدّث عن «الالتزام عالي المخاطر» (McAdam, 1986). فالانتماء إلى الاتحاد كان يزيد احتمال تعرُّض صاحبه لأشكال قمع متعدّدة، من الإيقاف والاعتداء بالعنف المعنوي والجسدي إلى التعذيب والسجن مرورًا بالتضييق الإداري والطرد من الجامعة والحرمان من الشغل وغيرها. هذا الخطر لم يكن مجهولًا من طرف الطلبة حديثي العهد بالجامعة، إذ إن خلايا الحزب الحاكم كانت تستهدفهم باستمرار بخطاب ترهيب يبالغ في توصيف مخاطر الالتحاق بالمنظمة:

«... وبمجرّد نجاحي في البكالوريا أرسلت جارتنا التجمّعيّة بطاقة انخراط باسمي في الشعبة المحلّية (للحزب الحاكم) لمنزلنا دون علمي. لم تعلمني أمّي بذلك أول الأمر لأنها لم تعره أهمّية تذكر... بعد اقترابي من مناضلي الاتحاد في الكلّية وعند عودتي لمدينتي أثناء

عطلة الربيع أعلمتني أمّي بأن جارتنا قد زارتها وطلبت منها التأكيد عليّ حتى أتصل بها ... ترددت كثيرًا قبل الاتصال بها ولم أفعل ذلك في نهاية المطاف، إلّا أنها زارتنا خلال الأسبوع الثاني من العطلة وأعلمتني بأن الحزب والبوليس على اطلاع تام بكل تحرّكاتي في الكلّية وهددتني بأنها ستعلم والدي بما أسمته الأشياء المشينة التي أقوم بها في العاصمة في غفلة منه وأن مواصلة نفس النهج قد يؤدي بي إلى عواقب وخيمة على مستقبلي الدراسي والمهني وعلى حياتي الخاصّة»[8].

إضافة إلى ذلك فإن الخطاب السائد بين مناضلي الاتحاد في تلك الفترة كان مشبعًا بالمصطلحات السياسيّة التي تدور في فلك المعجم اليساري. وكان هذا الخطاب، وعلاوة على الشحنة النقديّة التي كان مفعمًا بها، منمّقًا بمصطلحات غير متداولة خارج الدوائر اليساريّة، وهذا يعني **أولًا** أن تقبّله يفترض أن لا يكون الطالب حاملًا لقناعات وقيم تدخل في تعارض مباشر مع الثقافة السياسية اليساريّة **وثانيًا** أن التمكّن من هذا الحقل المعجمي كان يتطلّب اكتساب خبرات ومعارف ليست متاحة للجميع على قدم المساواة. كما أن الالتزام في منظمة كالاتحاد العام لطلبة تونس كان نشاطًا على قدرٍ عالٍ من التطلّب للوقت كما تبيّنه مقابلات كثيرة، من بينها:

«كنت أصل الكلّية يوميّا على الساعة التاسعة صباحًا وبعد أن أشرب قهوتي الصباحيّة كنت أضع الطاولة والكراسي التي تمثّل مقرّنا الرمزي كمكتب فدرالي (الهيكل القاعدي بالاتحاد) وسط الساحة، أي يوجد أكبر تجمّع للطلبة أو ألتحق ببقيّة الرفاق المتواجدين هناك إن كان أحدهم قد سبقني لفعل ذلك... كنت لا أبارح الكلّية إلا بعد الخامسة مساء ونتحوّل جماعيًّا رفقة بقيّة الرفاق للمقرّ المركزي في وسط العاصمة أو إلى أحد المقاهي المجاورة أين نبقى عمومًا إلى غاية الساعة الثامنة ليلًا... الاتحاد شغل بدوام كامل، كما تعلم هههههه...»[9].

ساهمت المنظمة في التكوين النقابي والسياسي لمئات المناضلين والمناضلات الذين أدّوا أثناء اندلاع الأحداث الثورية نهاية سنة 2010 دورًا يذكر (Salmon, 2016). كما أنهم تحملوا لاحقًا مسؤوليات قياديّة في الأحزاب اليساريّة التي صارت تنشط بشكل قانونيّ، إضافة إلى مبادرة عدد منهم إلى تأسيس تنظيمات سياسيّة ومدنيّة جديدة. ومن اللافت للانتباه أن جلّ كوادر الأحزاب اليساريّة والقوميّة الفاعلة في الساحة السياسيّة اليوم قد مرّت بتجربة الاتحاد وبالالتزام الطلابي (El Waer, 2017). ويتبنى هذا النص فرضيّة أن الالتحاق بمنظمة كهذه يتطلّب توفّر مجموعة من الصفات الاجتماعية التي ستخصص الفقرة التالية لبسطها.

(8) مقابلة مع سرور، صحافيّة ومناضلة قياديّة محلّية في الاتحاد بين سنتي 2000 و2009، تونس في شباط/ فبراير 2017.

(9) مقابلة مع مروان، موظف في وزارة التربية ومناضل وقيادي محلّي في الاتحاد بين 2002 و2011، تمّ تسجيلها في آذار/مارس 2017.

2 ـ من هم «مناضلو ومناضلات» الاتحاد العام لطلبة تونس؟

لا يعتمد هذا المقال مقاربة كمّية، لذلك فهو لا يدعي تقديمه معطيات ممثلة لمناضلي الاتحاد سنوات الألفين. إلا أن البيانات الشخصيّة للـ52 مبحوثًا الذين حاورتهم والتي دعمتها بمعرفتي الشخصيّة بغيرهم يتيحان لي صوغ بعض الاستنتاجات الأوليّة عنهم في انتظار تأكيدها مستقبلًا[10]. واستنادًا إلى المقابلات البحثيّة فقد استخرجت خمسة عناصر، رأيت أنها تختزل الخلفيّة الاجتماعية لـ«مناضلات ومناضلي» المنظمة: الانتماء الاجتماعي، المسار التعليمي، التجربة السياسيّة السابقة، الاستعداد البيوغرافي وشبكة العلاقات[11].

أولًا، ينحدر أغلب المبحوثين من عائلات تنتمي للفئات الدنيا من الطبقات الوسطى بدرجة أولى والفئات العليا من الطبقات الشعبيّة بدرجة ثانية. ولأغلب هذه العائلات مصدر دخل مالي واحد وهو شغل الأب. والمهن التي يشغلونها هي التعليم (ابتدائي وثانوي) وبدرجة أقلّ كحرفيين صغار وينتمي عدد أقل أهمّية من العيّنة لعائلات عمّاليّة (صناعيّة، خدماتيّة أو فلاحيّة). لا ينفي ذلك طبعًا وجود حالات نادرة لأفراد ينحدرون من أكثر الفئات فقرًا أو من الفئات الأعلى في التراتبيّة الاجتماعية. وتقطن العائلات في الأغلبيّة العظمى من الحالات المدن الداخليّة[12] والأحياء الشعبيّة بكبرى المدن الساحليّة. وتحوز هذه العائلات عمومًا رصيدًا متوسّطًا من رأس المال الثقافي (Bourdieu, 1986) متأتٍّ غالبًا من شهادة جامعية حازها الأب (وأحيانًا الأمّ) في مقابل افتقاد الوالدين صلب عائلات المنحدرين من الطبقات الشعبيّة له. إلا أن هذه الفئات تطفح بما يعرف بـ «حسن الإرادة الثقافيّة»[13]، أي إيمانها الراسخ بدور التعليم كمصعد اجتماعي، وثقتها في قدرتها على تحصيله، (Mauger et Poliak, 2008) وهي من خاصيّات «البرجوازيّات الصغرى» بحكم موقعها الاجتماعي غير المستقر (Bourdieu, 2007). أمّا من ناحية الرصيد السياسي (Matonti et Poupeau, 2004) العائلي فينقسم المبحوثون إلى مجموعتين غير متكافئتين عدديًّا. **الأولى** وهي الغالبة، تتكون ممن لا يملكون في عائلتهم خبرة سياسيّة تذكر. ويشبه هؤلاء من أطلقت عليهم جولي باجيس «مثقفي الجيل الأول» (Pagis, 2014)، أي أولئك الذين كانوا أول من خاض التزامًا طلابيًّا سياسيًّا في عائلاتهم. أما **الثانية** فتشمل مجموعة متنوعة يعتبر وجود مرجعيّة سياسيّة عائليّة قاسمًا مشتركًا بين أفرادها. وتتراوح أهمّية هذه المرجعيّة من وجود شخص في العائلة الموسّعة للمنخرط، ذي تجربة سياسية سابقة، كأدنى حد ممكن، إلى غاية العيش في عائلة

(10) سيكون هذا البعد الكمّي في التقصّي حول الخصائص الاجتماعيّة لعناصر الاتحاد العام لطلبة تونس أحد أبعاد أطروحة الدكتوراه التي أعدها عن الحركة الطلابيّة التونسيّة بعد 2010.

(11) لم تعط هذه الدراسة موقعًا يذكر للنوع الاجتماعي وهو ما سأخصص له مقالًا مستقلًّا.

(12) تسمية تطلق في تونس على المدن غير الساحليّة للتأكيد على بؤسها الاجتماعي المناقض للازدهار النسبي الذي تعيشه المدن الساحليّة.

(13) ترجمة من الكاتب للمصطلح الفرنسي «Bonne volonté culturelle».

مكونة من والدين ناشطين سياسيّا ومسجونين سياسيّين سابقين كحد أقصى من رأس المال السياسي المراكم.

ثانيًا، وبالنسبة إلى المسارات الدراسيّة لـ«مناضلي ومناضلات» الاتحاد، فمن اللافت للانتباه أن أغلبهم اجتاز امتحان الباكالوريا بملاحظة متوسّط. وهو ما يقطع مع فكرة رائجة عن المناضلين السياسيّين بأنهم تلاميذ نجباء (نخبة) حادوا عن الطريق. ورغم أن الصعود الاجتماعي عبر الالتزام السياسي صعب في ظل نظام تسلّطي كنظام بن علي، فالأطروحة التي أدافع عنها ترى بأن ذلك لا يلغي ما للنشاط السياسي المعارض من قيمة معنويّة تساهم في الرفع من الرصيد الرمزي لصاحبه (Gaxie, 1977).

أما العنصر **الثالث** الذي رأيت أنه مهم في تقديم مناضلي الاتحاد اجتماعيّا فهو افتقاد أغلب المبحوثين لتجربة سياسيّة سابقة للانتساب إليه باستثناء بضع عناصر منتمية إلى عائلات ذات تجربة سياسيّة صلبة، ممن لم يحجب عنهم القمع والانغلاق السياسي بعض المواقع التي يستطيع الشباب التلمذي أن يشارك فيها بعيدًا من هيمنة الحزب الحاكم. لكن التصحّر السياسيّ الذي عاشته بقيّة العناصر لا يعني انعدام التجربة السياسيّة لهؤلاء الأفراد بل ضعفها وغيابها في شكلها المنظّم. فقد حدّثني جلّ المشاركين مثلًا عن مشاركتهم منذ سنوات الدراسة الثانويّة في المسيرات المساندة ذات البعد القومي وعن أهمّية هذه المشاركة في تجربتهم السياسيّة. هذا مثلًا حال حمادي، الذي أدّت الاحتجاجات المنددة بزيارة شارون لتونس ـ التي كانت مبرمجة في آذار/مارس 2005 ـ عندما كان في المعهد الثانوي بإحدى المدن القريبة من القيروان دورًا محوريًّا في تعريفه بأستاذ نقابي من معهده. وفي صائفة 2005 ربط هذا الأستاذ الصلة بينه وبين أحد مناضلي الاتحاد بالقيروان، بتعلّة تسهيل اندماجه في الأجواء الجامعية بمدينة القيروان ـ التي لم يكن له فيها أي معارف ـ وهو ما كان مقدمة لانضوائه لاحقًا في النقابة الطلّابيّة وفي نفس المجموعة اليساريّة المحظورة التي كان صديقه عنصرًا بارزًا فيها[14].

إضافة إلى ما سبق فإن عاملًا آخر يبدو مهمًا من خلال الحوارات التي أجريتها مع «مناضلي ومناضلات» الاتحاد ألا وهو «التوافر البيوغرافي»[15] (McAdam, 2012; Siméant, 2001) الذي يعني أن كاهل الفرد لا يكون مثقلًا من أواخر المراهقة إلى بداية الكهولة بالتزامات اجتماعيّة جسيمة (عمل، التزامات مادية، أبناء، تداين...) وهو ما يجعله مستعدًا لخوض تجارب جديدة والمخاطرة بالانخراط في التزامات قد لا تكون عواقبها مضمونة. وقد لاحظت أن هذا «التوافر» لا يكون متوافرًا ومتساويًا طيلة الفترة الجامعيّة، حيث إن كل من تحدثت معهم قد التحقوا بالنقابة الطلّابيّة خلال السنة الأولى لدراستهم الجامعيّة باستثناء

(14) مقابلة مع حمادي، يشغل وظائف مؤقتة ويبحث عن عمل قار، عنصر قاعدي بالاتحاد بين سنتي 2005 و2012، القيروان في آذار/مارس 2017.

(15) ترجمة من الكاتب لمفهوم «disponibilité biographique».

مبحوث واحد فقط التحق بالنقابة خلال سنته الثالثة بالجامعة. ويذكرنا هذا «التوافر» بما أطلق عليه سيرز وفالنتينو «سنوات الانبهار»[16] (Sears et Valentino, 1997) والتي تعني أن الشاب يكون خلال سنواته الأولى داخل فضاء ما أكثر عرضة للانبهار بما يكتشفه وهو ما يعزز سهولة استقطابه لتجارب جديدة كالاتحاد.

أخيرًا، فقد بيّن البحث الميداني أن الـ«مناضلين» ينقسمون في تجاربهم داخل المنظمة إلى نوعين رئيسيين، حسب درجة حفاظهم على شبكاتهم الاجتماعيّة القديمة بعد الدخول للجامعة. **الأول** ويمثله القادمون من المدن الداخلية للجمهورية وأولئك الذين خيّروا متابعة دراستهم الجامعيّة بعيدًا من مكان سكنهم الأصلي. ويروي هادي هذه التجربة كما يلي:

«كان كلّ أصحابي خلال العام الأول من القصرين (وهي ولاية من الوسط الغربي) وكانوا كلّهم على نفس حالي. وقد تعرّفت بعد ذلك على أصدقاء من عديد الولايات الأخرى، خصوصًا بفضل الاتحاد... لكنّي لم أتمكن طيلة هذه المدة من تكوين صداقات مع القاطنين في العاصمة لأن نسق حياتنا مختلف...»[17].

ويمثّل الانتقال إلى الجامعة بالنسبة إلى عدد منهم تجربة تمزّق اجتماعي قاس، إذ تجدهم يفقدون نسبيًّا شبكة علاقاتهم المحلّية والتي يجدون صعوبة كبرى في تعويضها بعلاقات جديدة مع أصيلي المدن الكبرى التي انتقلوا للدراسة بها. ويجد هؤلاء الطلبة أنفسهم في محيط جديد تمثّل الجامعة كل حقله الدلالي. وهو محيط لا ينتهي حتى بانتهاء الدروس لأن المبيت يعجّ بالطلبة القادمين مثلهم من المدن الداخليّة، الذين يواصلون ليلًا الحديث عمّا يجمعهم وهي كلّيّتهم.

أمّا النوع **الثاني** فهم أصيلو الأحياء الشعبيّة بالعاصمة وبقيّة المدن الجامعيّة الكبرى ممن واصلوا دراستهم الجامعية على مقربة من مكان نشأتهم. وبخلاف النوع الأول، حافظ هؤلاء، كمنعم، على شبكة علاقاتهم مما وفّر لهم قدرًا من الاستقرار في محيطهم الاجتماعي:

«عندما انتقلت للدراسة في الكلّيّة، واصلت السكن في منزل العائلة بخزندار لأن الكلّيّة لم تكن تبعد أكثر من 15 كلم عن حيّنا... كنت أعود مساء كلّ يوم للقاء أتراب الحي في المقهى الذي نلتقي فيه عادة»[18].

تشكّل العناصر التي سبق ذكرها قسمًا من التنشئة الاجتماعية (Dubar, 2015) التي تلقتها

(16) ترجمة من الكاتب لمصطلح «impressionable years»

(17) مقابلة مع هادي، تقني بشركة خاصة ومناضل قاعدي في الاتحاد بين 2006 و2013. تونس في 2015.

(18) مقابلة مع منعم، موظف بشركة وطنيّة وعنصر قيادي جهوي بين سنوات 2006 و2013. تونس في نيسان/أبريل 2017.

عناصر الاتحاد قبل انتظامها في هياكله. وإضافة إلى التنشئتين الأولى داخل العائلة والثانية في المدرسة، يضيف باحثون مرحلة ثالثة (أقل تأثيرًا) توافق ولوج الفرد إطارًا مؤسساتيًا متواصلًا كتجربة العمل مثلًا أو تجربة الالتزام السياسي (Lahire, 2013). وقد بيّن لاهير أن الاستعدادات المكتسبة قد تدخل في تناقض مع متطلبات الإطار الجديد، وهو ما يجعل بعضها يُثَمّنُ وأخرى تُحَوّلُ جزئيًا في حين أن غيرها يتم التخلّي عنها. كما أن الاستعدادات المكتسبة في التجارب اللاحقة قد تدخل في تناقض مع استعدادات سابقة صارت مستترة إلى حين تأتي الفرصة لإعادة تفعيلها.

بعد أن استعرضنا الاستعدادات المكتسبة لدى من يمكن أن ينتموا إلى الاتحاد العام لطلبة تونس يتوجب علينا أن ندقق في الشروط التي تجعل تحويلها إلى التزام سياسي فعلي ممكنًا، وهو ما سأخصص له الفقرة اللاحقة.

ثالثًا: دوافع تفعيل الالتزام

لعل من المهم في بداية هذه الفقرة التأكيد أن الاستعدادات قد تبقى كامنة ما لم تتوافر الشروط الضروريّة لتفعيلها. ومن بين هذه الشروط التي توافرت لجيل الألفيات وجعلت انخراطهم في الالتزام الطلابي أكثف من الجيل الذي سبقهم، والتي تواتر ذكرها في مقابلاتي مع من عاصروا الالتزام الطلابي خلال العشريتين، نجد الانفراج النسبي في السطوة الأمنية على أنشطتهم داخل الجامعة. إذ إن هذه السنوات قد عرفت تحولات كمّية مقارنة بسنوات التسعينيات في مدى نجاعة وقوّة الهيمنة والتأطير السياسي للمجتمع من جانب الحزب الحاكم وأجهزة الدولة (Geisser et Gobe, 2007). لن أحاول في هذا الإطار الضيّق تفسير أسباب هذا التغيّر، بل سأكتفي بإقرار وجوده اعتمادًا على المقابلات:

«... بداية من سنة 1999 بدأت الأشياء تتغيّر في الجامعة. لا أستطيع تفسير سبب ذلك بشكل قاطع، لكنه شيء أحسسناه جميعنا. قد يكون ذلك ناجمًا عن احتجاجات مناظرة انتداب الأساتذة أو ترهّل النظام أو من تبعات الأزمة الاقتصاديّة، لا أعرف... لكن الوقائع تثبت أن تغييرًا ما حصل وأن الاتحاد صار له صيت أكبر لدى الطلبة وأن التحركات الاحتجاجيّة زادت وأن الاتحاد لم يعد حبيس الكلّيات الكبرى التقليديّة...»[19].

وتؤكّد معطيات موضوعيّة هذا الإقرار، إذ إن عدد منخرطي الاتحاد قد ارتفع بصورة ملحوظة انطلاقًا من تلك الفترة وهو ما لم يحصل منذ سنة 1991[20]، كما أن نسب مشاركته

(19) مقابلة مع محسن، موظف في وزارة التربية ومناضل قيادي وطني في الاتحاد منذ آخر التسعينيات وإلى غاية 2011، تونس في آذار/مارس 2017.

(20) نفس المقابلة.

ونتائجه في انتخابات المجالس العلميّة بالكليّات ضد قائمات طلبة الحزب الحاكم تحسنت بدورها بصورة لافتة (El Waer, 2017).

يساهم ما سبق من العوامل في خلق ظرف موضوعيّ مواتٍ أو غير مواتٍ لتفعيل انتساب الطلبة الجدد إلى الاتحاد العام لطلبة تونس، يمكن اعتباره «فرصة سياسيّة» بالمعنى الذي عبرّ عنه أصحاب نظرية «السيرورة السياسيّة» (Tarrow et Tilly, 2015; McAdam, 1999). ويصنّف مفهوم «هيكل الفرصة السياسيّة» كما صاغه وطوّره شارلز تيلي بالتعاون مع سيدني تارو دوغ ماك آدام الأنظمة السياسيّة حسب قوّتها وديمقراطيّتها لقياس مدى تأثيرها في نشوء وتطور الحركات الاجتماعيّة داخلها. ويؤكد هذا المفهوم أن تفاعل عدد من العوامل التي يمكن تلخيصها في تقلّص تماسك وسلطة النخب الحاكمة وتوافر موارد خاصّة مفيدة في الاشتباك يوفّر فرصة لمجموعات من خارج هذه النخب لها مطامح توحّدها للانتظام والعمل جماعيًّا قصد تحقيقها. ورغم النقد الذي تعرّض له هذا المفهوم نظرًا إلى جموده النسبي واعتباطيّة بعض خياراته (Ancelovici, 2009; Goodwin et Jasper, 1999)، فإني أعتقد أنه يحتفظ بقدرة نسبيّة على تحليل أوجهٍ من الواقع الذي عاشه «مناضلو» الاتحاد مع بداية الألفيات.

لم يكن الإطار السياسي العام وحده المحدد في توافر شروط تفعيل الالتزام صلب الاتحاد، إذ إن اختلاف الظروف محلّيا بين المؤسسات الجامعيّة أدّى دورًا غير هيّن في تجسيده أو في تعطيله. وقد بيّنت المقابلات مثلاً تباين طريقة التسيير بين مؤسسة تقليديّة للنشاط السياسي ككليّة العلوم الإنسانية والاجتماعيّة بتونس ومؤسسة صغيرة تفتقد للتقاليد السياسيّة كالمعهد الأعلى للإعلاميّة والتصرّف بالقيروان. ويكمن الاختلاف في مستويات متعدّدة، كوجود مكتب فدرالي (فرع محلّي) للاتحاد العام لطلبة تونس ورسوخ التقاليد التنظيمية بالمؤسسة وحركيّة عناصر الاتحاد وأسلوب اختيار الإدارة (انتخاب أم تعيين) ووجود أساتذة نقابيين ومسيّسين من عدمه ووجود تنظيمات نقابية مهنيّة من عدمه (أساتذة وعملة) والثقل الديمغرافي للمؤسسة الجامعية وغيرها من العوامل التي تجعل رجوح ميزان القوى المحلّي لفائدة الطلبة الساعين للانتظام نقابيًّا وسياسيًّا واردًا. وكما يبيّن المقتطف التالي، فإن غياب هذه العوامل، وخصوصًا المكتب الفدرالي يجعل الالتزام صلب المنظمة عسيرًا:

«لم أنخرط يومًا في الاتحاد. كنت أدرس في المعهد الأعلى للدراسات التجاريّة بقرطاج وهي كلّية لا يؤمّها إلّا أبناء الفئات الميسورة الذين لم يكن لهم حاجة بالانخراط في نقابة ويكفيهم التعويل على عائلاتهم لحلّ أي مشكل يعترضهم. كانت النوادي الترفيهيّة المقرّبة من الإدارة تهيمن على كل مجالات الحركة الممكنة ولم يكن أحد في المعهد يتحدث السياسية... فكّرت لبضعة أشهر في بعث مكتب فدرالي جديد وحاولت البحث عن طلبة

مهتمين بمشاركتي هذا المشروع إلا أن محاولاتي باءت بالفشل فتخلّيت عن الفكرة»[21].

ومن العوامل الأخرى التي قد تؤدي دورًا مهما، التواصل مع الـ«مناضلين» الطلابيّين الأكثر تجربة. ويؤدي وجود علاقة مع أحد هذه العناصر محفّزًا كبيرًا للانضواء صلب الاتحاد العام لطلبة تونس. وفي حين كان الإعلام الصادر عن إدارات الكلّيات تجاههم يتّسم بالرداءة والطالب الجديد يعاني الأمرّين ليحصل على معلومات بسيطة تخصّ مساره التعليمي(Millot, 1998)، في المقابل كانت خبرة هذه العناصر تمد حديثي العهد بالجامعة بمعلومات قيّمة ودقيقة عن مؤسساتهم الجامعيّة يصعب تحصيلها خارج هذا الإطار. فالعناصر ذات التجربة قد خبرت الإجراءات الإداريّة بفضل تعاملها المتواصل مع الإدارة. كما أن المعرفة الشخصيّة بأحد الـ«مناضلين» القدامى تكسر لدى القادمين الجدد حاجز الخوف وتسهّل نقل المعارف النقابيّة والسياسية إليهم، مما يساهم في كسر حاجز الدعاية المضادة المكثفة التي تستهدف الاتحاد و«مناضليه» من طرف أجهزة الحزب الحاكم وأجهزة الدولة[22]. كما أن هذه المعرفة تتيح للقادمين الجدد الحصول على تدريب مفيد حول أسلوب عيش «مناضلي» الاتحاد وحقلهم الدلالي ومنطقهم العملي تجعل اكتسابهم التدريجي والعسير لل«هابيتوس النضالي» ممكنًا (Matonti et Poupeau, 2004).

وقد رأينا في الفقرة السابقة أن العزلة قد تصيب نسبيّا طلبة قدموا من مناطق بعيدة عن مكان وجود كلّياتهم. نتيجة لهذا يجد جزء من هؤلاء الطلبة في الاتحاد دائرة تواصل اجتماعي تُدمجهم تدريجيًا في محيطهم الجديد وتقلّص من عزلتهم وهو ما يفسّر مثلاً الغلبة النسبيّة بين «مناضلات ومناضلي» الاتحاد في مؤسسة جامعيّة معيّنة للقادمين من مدينة أخرى، على أصيلي مدينة الدراسة[23].

أما العامل **الأخير** الذي أعتبره مؤثرا في تفعيل الالتزام صلب المنظمة فهو وقوع حادث محرّك أو محفّز. وقد أصبح من المقبول في علم الاجتماع، منذ أبحاث سيرز وفالنتينو اعتبار الحدث عمومًا، والسياسي خصوصًا، ذا أهمّية كبرى في سيرورة التنشئة السياسيّة للشباب وفي تحويل الاستعدادات الكامنة لديهم إلى التزام سياسي فعلي (Sears et Valentino, 1997). ولعل أهم الأحداث الحاشدة للمشاركة الجماهيريّة في تونس قبل سنة 2010 كانت تلك المرتبطة بالتضامن مع بقيّة الشعوب العربيّة وخصوصًا مع القضيّة الفلسطينيّة والتي كان النظام يسمح بها نسبيّا اعتقادًا منه بأن ذلك يساعده على التحكم بدرجة التوتر العام في حدود مسموحة. وهو ما يؤكده أحد المبحوثين:

---

(21) مقابلة مع عبد الرحمن، عامل في مركز نداءات ومقرّب من الاتحاد العام لطلبة تونس خلال الفترة من 2005 و2007. تونس في شباط/فبراير 2017.

(22) مقابلة مع فتحيّة، موظفة بوزارة التربية، عنصر قاعدي في الاتحاد بين سنتي 2000 و2009، قفصة في آذار/ مارس 2017.

(23) تنطبق هذه الملاحظة على المبحوثين الـ52 كما أنها تنطبق على مجمل أعضاء وعضوات المكتب الفدرالي بالمؤسسة الجامعية التي نشطت فيها صلب الاتحاد طيلة فترة وجودي بها (2003 ـ 2009).

«كان النظام خلال الانتفاضات الفلسطينيّة والحروب ضد العراق يسمح بإضرابات في المعاهد الثانويّة والكلّيات لامتصاص الغضب الشعبي. حصل هذا في المعهد أين كنت أدرس. وكان البوليس متسامحًا نسبيًا مع هذا النوع من الاحتجاجات. حين ترى وحشيّة النظام ضد تحرّكات أخرى، لا يمكنك أن تفسّر هذا التسامح بسبب آخر»[24].

ومن المعلوم أن هذه المسيرات وإن لم تكن موجّهة صراحة ضد نظام الحكم، فإنها كانت من المناسبات النادرة التي تتيح للتنظيمات السياسيّة المعارضة الالتحام بأعداد واسعة من المواطنين وترديد خطابات مناهضة للنظام علنيًّا (Khiari, 2003). وقد حدثني جل من حاورتهم عن الدور الذي مارسته هذه التحركات في إثارة اهتمامهم العفوي بالشأن السياسي كمنعم، الذي أجاب ردًا على سؤالي عن التاريخ الذي يعتبره محددًا في بداية وعيه بالشأن السياسي:

«... لقد كان ذلك بشكل غير واعٍ وعفوي كما هو الحال بالنسبة للجميع، خلال المسيرات الداعمة للانتفاضة الثانية عندما كنت في المعهد الثانوي... حينها لم يكن لي أي معرفة بالوضع السياسي التونسي، لكني صرت منذ ذلك اليوم أكثر انتباهًا لما يحصل في الشأن المحلّي»[25].

من المهم هنا أن لا نخلط بين الحدث وتمظهراته، إذ إن الحدث كما يعنينا ليس التحركات الاحتجاجية في ذاتها، فهذا يؤدي في ما نحن بصدده دور التمظهر فقط، بل هو خروج تونسيين في عهد بن علي مستغلين الوضع المواتي وسط إحدى المسيرات القليلة المسموح بها ورافعين شعارات تنقد الواقع السياسي في تونس.

وسنرى في الفقرة التالية أن تفاعل الاستعدادات مع مختلف الدوافع التي ساهمت في تفعيلها كان له أثر جوهري في تحديد ملامح شكل الالتزام الذي عاش به كل «مناضل ومناضلة» تجربته في الالتزام الطلابي التونسي خلال العشرية الفارطة.

رابعًا: نمطا الالتزام الأساسيّان

ورغم وعيي بأن المسارات التي مرّ بها «مناضلو» الاتحاد العام لطلبة تونس فريدة وتختلف من شخص إلى آخر فإني سأعمد هنا إلى تقسيمها إلى مجموعتين رئيسيّتين. يمكننا ذلك باعتقادي من فهم أفضل للآليات الاجتماعيّة الكبرى التي تترك بصمتها على مسيرة المبحوثين وإن كان ذلك على حساب خسارة قدر من الدقّة في وصف تنوّع تجاربهم.

(24) مقابلة مع أسماء، تقدّم دروس خصوصيّة وتبحث عن شغل قار، عنصر قاعدي في الاتحاد من سنة 2005 إلى غاية 2012. تونس في آذار/ مارس 2017.

(25) مقابلة مع منعم.

ويمكن توزيع أشكال الالتزام داخل «النضال» الطلابي التونسي في سنوات الألفين حسب أهمّية الجهود التي بذلت، وقد أطلقت على النوع الأول «الالتزام الكلّي» وهي الحالة الأخرى القصوى والتي يكون فيها الانتماء للاتحاد المصفوفة الأساسيّة التي يعرّف بها الشخص نفسه مكرّسًا لها أغلب موارده. ويقدّم كمال مثالًا شافيًا عن هذا النوع من الالتزام قائلًا:

«كان الالتزام الطلابي عالمنا الذي ينتهي بعده كلّ شيء. كان وجودنا في الجامعة مكرّسًا للالتزام السياسي وكانت أنشطتنا خارج الجامعة تواصلًا للنقاش السياسيّ. حتّى علاقاتنا العاطفيّة خضعت لتدخّل الحسابات السياسيّة. حضورنا في التظاهرات الثقافية كان أيضًا لتسجيل موقف سياسي أو لطبع التظاهرة بلوننا السياسي والنقابي»[26].

ويتطلّب الالتزام الكلّي توافر شرطين أساسيين: **الأول** هو المحيط الملائم للانتماء إلى الاتحاد على كل المستويات، سواء كان ذلك على المستوى السياسي العام، أو داخل الجزء الجامعي المعني، أو في الهيكل النقابي المحلّي الذي سينخرط فيه الطالب الجديد، أما **الثاني** فهو أن تكون الموارد الشخصيّة (رأس مال ثقافي، اقتصادي، اجتماعي) متوافرة، لكن بمقدار لا يتجاوز الحدّ الأدنى بكثير، وخصوصًا في ما يتعلق برأس المال الثقافي. وتجدر الإشارة إلى أن تفكك شبكات العلاقات السابقة للجامعة قد يكون عاملًا محفّزًا، وخصوصًا إن كان يوجد في المحيط الاجتماعي الجديد والضيق للطالب عنصر من الاتحاد. فتجد أصحاب الالتزام الكلّي يقضون معظم ساعات يومهم مع رفاقهم من «مناضلي» الاتحاد الذين هم في الوقت نفسه أصدقاؤه وهو حال أمين الذي عاش نسق الحياة هذا لعشر سنوات[27].

كما أن رأس المال السياسي وفي صورة ارتفاعه دون أن يصاحب ذلك ارتفاع في رأس المال الثقافي قد يكون حافزًا ليكون الالتزام أقرب إلى الكلّي، بما أن الفضاءات التي يمكن أن تساهم في الحفاظ على رأس المال السياسي وصقله منعدمة تقريبًا خارج المنظمة قبل سنة 2011. ومن جملة 52 مبحوثًا شملهم التحقيق الميداني فإن 13 منهم ينتمون إلى هذا النموذج من الانتماء. ومن اللافت للانتباه أنهم عند تعريف أنفسهم أثناء فترة التزامهم الطلابي يقتصرون على وصف «ولد (أو بنت) الاتحاد» وفي هذا اللفظ دلالة انتماء قوي جدًا إلى المنظمة. كما أن معظم هؤلاء الأفراد قد دفعوا تكاليف باهظة جرّاء نشاطهم داخل الاتحاد. وتعرضوا لعقوبات إداريّة من قبيل الطرد غير النهائي من الجامعة في أضعف الحالات ولعقوبات جنائيّة كأحكام بالسجن لمدّة لبضع سنوات تتزامن مع التعرّض للتعذيب المنهجي في أقصاها. وقد أكد كلّ من عاشوا هذا النوع من الالتزام الآثار العميقة التي تركتها هذه التجارب القصوى في أنفسهم وفي علاقاتهم الاجتماعيّة:

(26) مقابلة مع كمال، موظف بمؤسسة ثقافيّة وقيادي محلّي بالاتحاد بين 1991 و2003. تونس في شباط/ فبراير 2017.

(27) مقابلة مع أمين، موظف بشركة عموميّة، من القيادات الوسطى للاتحاد الذي نشط فيه بين 2000 و2009، زغوان في آذار/ مارس 2017.

«القهر الناجم عن تتالي المظالم والتي لا تستطيع في أغلب الأحيان ردّها يترك أمارات على جسدك وفي نفسك يصعب انمحاؤها حتى بعد سنوات. مثلًا أنا قد تركت الجامعة في 2003 إلّا أن بقايا ما تعرضت له ما زال باقيًا يؤثّر على علاقاتي. من يعوضني 12 سنة من البطالة؟ من يعوّض لي عن أشهر السجن؟ من يعوّض لي حبيبتي التي خسرتها؟ حياتي اليوم مستقرّة وقد قبلت ما وقع لي وحاولت قد الاستطاعة أن أتّجه إلى الأمام وأنا سعيد لهذا، لكن الذكريات تعاودك أحيانًا وتبعثر هذه الطمأنينة»[28].

ومع العلم بأن حدًّا أدنى من الالتزام ومن الجهد المبذول كان مطلوبًا من أي منخرط في الاتحاد حتى يتم القبول به كـ«مناضل» طلّابي، فإني سأنعت هذا الحد الأدنى بحالة «الالتزام الجزئي»، على اعتباره لا يستهلك إلا قسطًا محدودًا من مجمل موارده (وقت، مادية، معنويّة...) كما يبينه المقتطف التالي من الحوار مع مها:

«أكيد أنيّ كنت «بنت الاتحاد»[29] وما زلت، لكنّي لم أكن ذلك فقط. فقد كنت أيضًا مناضلة نسويّة وكنت أيضًا نشيطة جدّا في حركة نوادي السينما ولم يكن الالتزام الطلابي إلّا جزءًا من مجال نشاطي»[30].

عاش المبحوثون هذا النوع من الالتزام عمومًا بنوع من «المسافة عن الدور» (Goffman, 1975) الذي يؤدونه كـ«مناضلين» في الاتحاد، أي بعدم الاندماج كليًّا في هذا الدور كأُولي الالتزام الكلّي. وهؤلاء الـ«مناضلون» هم عمومًا أولئك الذين احتفظوا بشبكات علاقات قويّة سابقة للانخراط بالمنظمة وهو ما يجعلهم يقضون بعضًا من وقتهم بين شبكة العلاقات الطلّابيّة في حين يخصصون بقيّته لأنشطة أخرى ولحلقات صداقة خارج دوائر الاتحاد. وأصحاب هذا النوع من الالتزام حائزون قدرًا مهمًا من رأس المال الثقافي والاجتماعي وهم من الذين دفعوا أقل التكاليف (القمع) جرّاء التزامهم الطلابي اليساري. ولعل أهم خاصيّة يتمتع بها هؤلاء الطلبة هو أن انتماءهم، وعكس أصحاب الالتزام الكلي، لم يكن أبدًا حصريًّا. حيث إنهم كانوا منخرطين، إضافة إلى الاتحاد، في منظمة قانونية أخرى على الأقل[31]. ويسهّل هذا «التموقع المتعدد»[32] (Péchu, 2001) على هؤلاء «المناضلات والمناضلين» الاندماج في فضاءات اجتماعية أخرى بعد الجامعة ويقلّص اعتمادهم على المنظمة. لا يعني هذا أنهم لا يعرّفون أنفسهم كـ«أبناء الاتحاد»، إلا أن هذا الأخير ليس أكثر من عنصر من

(28) مقابلة مع كمال.

(29) تعبير دارج جدًّا بين مناضلات ومناضلي الاتحاد للتعبير عن الانتماء إليه.

(30) مقابلة مع مها، عاملة في شركة إنتاج فنّي وقياديّة محلّية في الاتحاد بين سنة 2000 و2006. تونس في آذار/ مارس 2017.

(31) إحدى المنظمات القليلة المستقلة عن النظام والتي سبق ذكرها.

(32) ترجمة من الكاتب لمفهوم «La multipositionnalité»

العناصر المكونة لهويتهم، مثله مثل عناوين أخرى يمكن أن يعرّفوا بها أنفسهم. ويتطابق 7 ممن شملهم البحث مع متطلّبات هذا النموذج من الالتزام.

ومن نافل القول أن هذه الفقرة تعتمد فرضيّة كلاسيكيّة في علم اجتماع الالتزام والتي تقضي بأن التشبث بالالتزام وعدم الاستعداد للتخلّي عنه يزداد مع ارتفاع الجهود التي بذلها الفرد لبلوغه (Hirschman, 1970; Kanter, 1972)، وهو ما يمكن تفسيره بصعوبة الإقرار بأن الجهود المبذولة قد راحت هباءً (Fillieule, 2005).

خاتمة

حاول هذا النص تقديم «مناضلي ومناضلات» الاتحاد اجتماعيًّا عبر توضيح مختلف أوجه تنشئتهم الاجتماعيّة، وهدفي من ذلك هو رصد مختلف الفروق الدقيقة التي شهدتها مساراتهم وكيف أثّر ذلك في شكل وحِدَّة الالتزام. انطلق النصّ أولًا بتأكيد أن الشرط الأساسي لانتساب «مناضلي» الاتحاد صلبه في عهد التسلّط السياسي كان نجاح الأجيال السابقة من الـ«مناضلين» في الحفاظ على هذه المنظمة كفضاء لـ«التعويض السياسي» يسمح بتواصل إنتاج حدّ أدنى من النقد الاجتماعي في تونس. قمت بعد ذلك بتعداد الاستعدادات التي تجعل انضواء من يحملها في الاتحاد أكثر احتمالًا وتبيين وزن كلّ منها. من ثمة تم رصد العوامل التي تساهم في تفعيل الاستعدادات الكامنة والتي قد يبقيها غياب هذه العوامل كفرضيّة لا أكثر. وفي النهاية واعتمادًا على ما سبق قسّمت مسارات الالتزام التي عاشها «مناضلو ومناضلات» الاتحاد إلى نوعين «كلّي» و«جزئي» مبينًا الفرق بينهما.

المراجع

Allal, Amin (2012). «Trajectoires «révolutionnaires» en Tunisie.» *Revue francaise de science politique*: vol. 62, no. 5, pp. 821-41.

Ancelovici, Marcos (2009). «Esquisse d'une théorie de la contestation.» *Sociologie et sociétés*: vol. 41, no. 2, pp. 39–61, <https://doi.org/10.7202/039258ar>.

Ayachi, Mokhtar (1990). *Le Milieu zaytounien, 1910-1945: Contribution à l'histoire de l'université musulmane tunisienne*. Traduit par Hamadi Salhi. Tunis: Édition Turki.

Ayachi, Mokhtar (2003). *Histoire d'une école de cadres: L'Union Générale des Etudiants de la Tunisie au cours des années 50/60*. Tunis: Institut Supérieur de l'Histoire du Mouvement National.

Ayari, Michaël Béchir (2017). *Le Prix de l'engagement politique dans la Tunisie autoritaire: Gauchistes et islamistes sous Bourguiba et Ben Ali (1957-2011)*. Paris: Karthala, <http://catalogue.sciencespo.fr/ark:/46513/sc0001297239>.

Beaud, Stéphane (1996). «L'usage de l'entretien en sciences sociales: Plaidoyer pour l'«entretien ethnographique».» *Politix: Revue des sciences sociales du politique*: vol. 9, no. 35, pp. 226-57, <https://doi.org/10.3406/polix.1996.1966>.

Belhadj, Aymen, et Damiano de Facci (2015). «L'État dans l'impasse: La Crise de l'emploi dans les régions de l'intérieur en Tunisie postrévolutionnaire.» *Maghreb - Machrek*: vol. 4, no. 226, pp. 33-51.

Ben Chaabane, Abderrahmen (2019). *L'Union générale des étudiants de Tunisie 1952-1957*. Tunis: Nirvana.

Bensa, Alban (1995). «De la relation ethnographique: À la recherche de la juste distance.» *Enquête: Archives de la revue Enquête*: no. 1, octobre, pp. 131-40, <https://doi.org/10.4000/enquete.268>.

Bouguerra, Abdeljalil (2012). C*hapitres de l'histoire de la gauche tunisienne: Comment les communistes et les perspectivistes ont fait face au régime du parti unique ? 1963-1981, une étude historique*. Tunis: Afak-Perspectives.

Bourdieu, Pierre (1986). «The Forms of Capital.» dans: John Richardson (ed.). *Handbook of Theory and Research for the Sociology of Education*. Westport: Greenwood Press, pp. 241-258.

Bourdieu, Pierre (2007). *La Distinction: Critique sociale du jugement. Sens commun*. Paris: Éditions de Minuit.

Bourdieu, Pierre et Loïc J. D. Wacquant (2014). *Invitation à la sociologie réflexive*. Paris: Seuil. (Collection «Liber»).

Broqua, Christophe et Olivier Fillieule (2005). «La Défection dans deux associations de lutte contre le sida: Act Up et AIDES». dans: Olivier Fillieule (ed.). *Le Désengagement militant*. Paris: Belin, pp. 189-228.

Camau, Michel et Vincent Geisser (2003). *Le Syndrome autoritaire: Politique en Tunisie de Bourguiba à Ben Ali*. Paris: Presses de sciences po.

Charfi, Mohamed (2009). *Mon combat pour les Lumières*. Paris: ZELLIGE *PNF*.

Charfi, Mounir (2000). *Ministres de bourguiba: 1956-1987*. Paris: Harmattan.

Demazière, Didier (2011). «L'entretien biographique et la saisie des interactions avec autrui.» *Recherches Qualitatives*: vol. 30, no. 1, pp. 61-83.

Denshire, Sally (2014). «On Auto-Ethnography.» *Current Sociology*: vol. 62, no. 6, pp. 831-850, <https://doi.org/10.1177/0011392114533339>.

Dhifallah, Mohamed (1999). *Le Mouvement estudiantin tunisien 1927 - 1937*. Zaghouan, Tunisie: Édition Tmimi.

Dhifallah, Mohamed (2003). *L'amphie et la chaise: Etudes sur les étudiants tunisiens entre les années 1950 et 1970*. Sfax, Tunisie: Aladin.

Dubar, Claude (2015). *La Socialisation: Construction des identités sociales et professionnelles*. 5ème ed. revue. Paris: A. Colin. (Collection U. Sociologie), <http://catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb44338994r.

El Waer, Moutaa Amine (2017). «Production et reproduction d'un militantisme de gauche au sein d'un syndicat étudiant dans la dernière décennie de règne de Ben Ali.» (Maîtrise en science politique, Université Paris Dauphine, Paris).

El Waer, Moutaa Amine (2019). «De quelques représentations du mouvement étudiant depuis 68.» dans: Hichem Abdessamad (ed.). *Soixante-huit en Tunisie: Le Mythe et le patrimoine*. Tunis: Mots passants, pp. 119-154.

Ellis, Carolyn, Tony E. Adams, et Arthur P. Bochner (2011). «Autoethnography: An Overview.» *Historical Social Research/Historische Sozialforschung*: vol. 36, no. 4 (138), pp. 273-290.

Feltrin, Lorenzo (2019). «Labour and Democracy in the Maghreb: The Moroccan and Tunisian Trade Unions in the 2011 Arab Uprisings.» *Economic and Industrial Democracy*: vol. 40, no. 1, pp. 42-64, <https://doi.org/10.1177/0143831X18780316>.

Fillieule, Olivier (éd). (2005). *Le Désengagement militant: Sociologiquement*. Paris: Belin.

Gaxie, Daniel (1977). «Économie des partis et rétributions du militantisme.» *Revue française de science politique*: vol. 27, no. 1, pp. 123-154.

Geisser, Vincent et Éric Gobe (2007). «Des fissures dans la «Maison Tunisie»?: Le régime de Ben Ali face aux mobilisations protestataires». *L'Année du Maghreb*: no. 2, mars, pp. 353-414. https://doi.org/10.4000/anneemaghreb.140.

Gobe, Éric (2016). «Les Mobilisations professionnelles comme mobilisations politiques: Les Avocats tunisiens de la «révolution» à la «transition».» *Actes de la recherche en sciences sociales*: nos. 211-212 (1), pp. 92-107.

Goffman, Erving (1975). «Role Distance.» dans: Dennis Brissett et Charles Edgley (eds.). *Life As Theater: A Dramaturgical Sourcebook*. New Jersey: Transaction Publishers, pp. 123-132.

Goodwin, Jeff et James M. Jasper (1999). «Caught in a Winding, Snarling Vine: The Structural Bias of Political Process Theory.» *Sociological Forum*: vol. 14, no. 1, pp. 27-54, <https://doi.org/10.1023/A:1021684610881>.

Grard, Julien (2008). «Devoir se raconter: La Mise en récit de soi, toujours recommencée.» dans: Alban Bensa et Didier Fassin (eds.). *Les Politiques de l'enquête*. Paris: La Découverte, pp. 143-163, (Recherches), <https://www.cairn.info/politiques-de-l-enquete--9782707156563.htm>.

Harding, Sandra (1992). «Rethinking Standpoint Epistemology: What Is «Strong Objectivity?».» *The Centennial Review*: vol. 36, no. 3, pp. 437-470.

Hibou, Béatrice (2006). *La Force de l'obéissance: Economie politique de la répression en Tunisie*. Paris: Découverte. (Textes à l'appui. Série Histoire contemporaine)

Hirschman, Albert O. (1970). *Exit, Voice, and Loyalty: Responses to Decline in Firms, Organizations, and States*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Hmed, Choukri (2012). «Réseaux dormants, contingence et structures.» *Revue française de science politique*: no. 5, pp. 797–820.

Hmed, Choukri (2018). «Les déçu-e-s de l'autoritarisme partisan: Engagement et désengagement dans les organisations de la gauche radicale après 2011.» dans: Amin Allal et Vincent Geisser (eds.). *Tunisie: une démocratisation au-dessus de tout soupçon?*. Paris: CNRS éditions, pp. 123-137.

Hmed, Choukri, et Laurent Jeanpierre (2016). «Révolutions et crises politiques au Maghreb et au Machrek.» *Actes de la Recherche en Sciences Sociales*: nos. 211-212, pp. 4-23.

Kanter, Rosabeth Moss (1972). *Commitment and Community: Communes and Utopias in Sociological Perspective*. Cambridge, MA: Harvard University Press.

Khiari, Sadri (2003). *Tunisie: le délitement de la cité: Coercition, consentement, résistance*. Paris: Karthala.

Kréfa, Abir (2016). «Les Rapports de genre au cœur de la révolution.» *Pouvoirs*: vol. 1, no. 156, pp. 119-136.

Labiadh, Salem (2014). «Le Mouvement étudiant tunisien: La Naissance, la constitution et l'identité.» Instance libanaise des sciences de l'éducation. <http://www.laes.org/upload/editor_upload/file/Salem-Labiad-Students-Movement--.pdf>.

Lagroye, Jacques, Bastien François, et Frédéric Sawicki (2002). *Sociologie politique*. 4ème éd. Paris: Les Presses de Sciences Po.

Lahire, Bernard (2013). *Dans les plis singuliers du social: individus, institutions, socialisations*. Paris: La Découverte. (Collection Laboratoire des sciences sociales)

Léger, Thomas (2013). «La Mobilisation des diplômés chômeurs en Tunisie (2006-2013): Dynamique protestataire et processus révolutionnaire.» (Maîtrise en science politique, Université Paris 1 Panthéon Sorbonne, Paris).

Mahfoudh, Dorra, et Amel Mahfoudh (2014). «Mobilisations des femmes et mouvement féministe en Tunisie.» *Nouvelles Questions Feministes*: vol. 33, no. 2, pp. 14-33.

Matonti, Frédérique, et Franck Poupeau (2004). «Le Capital militant: Essai de définition: Le Capital militant.» *Actes de la Recherche en Sciences Sociales*: no. 155, pp. 5-11.

Mauger, Gérard, et Claude Poliak (2008). «Marginalité, «bonne volonté culturelle» et «bohème populaire».» Savoir/Agir: no. 4, pp. 67-76.

McAdam, Doug (1986). «Recruitment to High-Risk Activism: The Case of Freedom Summer.» *American Journal of Sociology*: vol. 92, no. 1, pp. 64-90, <https://doi.org/10.1086/228463>.

McAdam, Doug (1999). *Political Process and the Development of Black Insurgency, 1930-1970*. 2nd ed. Chicago, IL: The University of Chicago Press.

McAdam, Doug (2012). *Freedom Summer: Luttes pour les droits civiques, Mississippi 1964*. Marseille: Agone.

Millot, Benoît (1998). «L'enseignement supérieur tunisien. Enjeux et avenir.» dans: *Les Rapports économiques de la Banque Mondiale*. Washington, DC: Banque Mondiale, <http://documents1.worldbank.org/curated/es/902651468761396587/pdf/multi-page.pdf>.

Pagis, Julie (2014). *Mai 68, un pavé dans leur histoire: Evénements et socialisation politique*. [Paris]: SciencesPo. Les Presses. (Domaine Sociétés en mouvement)

Péchu, Cécile (2001). «Les Générations militantes à droit au logement.» *Revue francaise de science politique*: vol. 51, no. 1, pp. 73-103.

Salmon, Jean-Marc (2016). *29 jours de révolution/histoire du soulèvemen... - Salmon, Jean-Marc - Les petits matins*. Paris: Les petits matins, <https://www.leslibraires.fr/livre/8936579-29-jours-de-revolution-histoire-du-soulevemen--salmon-jean-marc-les-petits-matins>.

Scott, Joan W. (1991). «The Evidence of Experience.» *Critical Inquiry*: vol. 17, no. 4, pp. 773-797, <https://doi.org/10.1086/448612>.

Sears, David O., et Nicholas A. Valentino (1997). «Politics Matters: Political Events as Catalysts for Preadult Socialization.» T*he American Political Science Review*: vol. 91, no. 1, pp. 45-65, <https://doi.org/10.2307/2952258>.

Siméant, Johanna (2001). «Entrer, rester en humanitaire: des Fondateurs de MSF aux membres actuels des ONG médicales françaises.» *Revue française de science politique*: vol. 51, nos. 1-2, pp. 47-72.

Tarrow, Sidney, et Charles Tilly (2015). *Politique(s) du conflit, De la grève à la révolution*. 2ème éd. Paris: Presses de Sciences Po, <http://www.pressesdesciencespo.fr/fr/livre/?GCOI=27246100307990>.

Taylor, Verta (1989). «Social movement Continuity: The Women's Movement in Abeyance.» *American Sociological Review*: vol. 54, no. 5, pp. 761-775, <https://doi.org/10.2307/2117752>.

Thabti, Adel (2011). *De l'histoire actuelle tunisienne*. Tunis: La Maghrebine d'impression.

Timoumi, Hadi (2013). *L'illusion de la douce dictature, 23 ans de pouvoir sous Ben Ali*. 2ème éd. Tunis: Éditions Med Ali, <https://www.goodreads.com/book/show/36455884-23>.

Yousfi, Hèla (2015). *L'UGTT, une passion Tunisienne: Enquête sur les syndicalistes en révolution, 2011-2014*. Paris: IRMC - Karthala.